الفصل

6

عملي في الحياة... أن أعلم الصم الكلام

كان لألكسندر غراهام بل إهتمامات عدة في حياته العملية إلا أن إهتماما رئيسياً واحداً كان يشغله منذ شبابه وحتى كبره. عندما كان يُسأل على مهنته كان جوابه دائماً «معلم للصم». ويعتقد كثير من الناس أن أعظم مساهمة له في مجال العلوم الأساسية كانت ماقدمه حول موضوع الصمم وليست إختراعه الهاتف. ولم يكتف فقط بالقيام بالأبحاث الهامة حول الصمم والإرتقاء بإهتمامات الصم خلال حياته، وإنما ساهم أيضاً مساهمة مادية في هذا الشأن إذ خصص حوالي نصف مليون دولار لخدمة الصم.

في رأي بل، إن أسوأ مظهر لمشكلة الصمم هو عزله لضحاياه عن بقية المجتمع. لذا جعل من حل هذه

المشكلة همه في الحياة من أجل كسر الحواجز التي تمنع الصم من الإختلاط ببقية العالم. وفي 1887 ألقى خطاباً عبر بوضوح عن تعاطفه مع الصم، إذ قال:

«من يستطيع أن يتصور العزلة التي يعيشونها؟ إننا عندما نذهب إلى الريف ونسير بين الحقول نشعر بأننا وحيدون؛ فما هو شعور كائن عاقل وسط حشد من الكائنات السعيدة وهو غير قادر على التواصل معهم ولا هم قادرون على التواصل معه. أعرف أن أكثر مكان معزول في العالم هو قلب مدينة لندن، فقد وقفت مرة على الرصيف وشاهدت مئات بل آلاف الأشخاص يمرون بي دون أن أعرف أحداً منهم، وكان شعور الوحدة الذي شعرت به حينها محبطاً ومزعجاً للغاية. فكيف كان الحال مع وحدة الطفل الأصم على مر السنين (في الماضي)؟

كان بل يؤمن وبشدة بأنه يجب ألا يتقوقع الصم على أنفسهم، بل على العكس ينبغي أن يلعبوا ويدرسوا ويعملوا مع أولئك الذين لم يصاب سمعهم بالأذى. ومن أجل هذه الغاية كان يحبذ تعليم الأطفال الصم في مدارس نهارية أكثر من المعاهد الداخلية التي كان عليهم أن يقيموا فيها. فالمدارس الداخلية برأيه كانت تفصلهم عن بقية أفراد أسرتهم ورفاقهم غير الصم ففي المدارس النهارية يستطيع الطفل الأصم أن يتلقى تعليمه الخاص ويتدرب على التغلب على إعاقته وفي نفس الوقت يختلط مع باقي الطلاب ويتعلم فهمهم من خلال قراءة شفاههم. وعلى هذا النحو، تلقت زوجته الصماء ميبل دراستها إلى جانب شقيقاتها وغيرهن من الأطفال طبيعيي السمع،

فتعلمت أن تقرأ الشفاه لدرجة كانت تجعلها تتصرف بشكل طبيعي مع عائلتها ومع الآخرين.

ونظراً لتجربته الناجحة مع المدرسة النهارية للأطفال الصم في غرينوك باسكوتلندة، قرر بل تأسيس مدرسة مشابهة في واشنطن. إلا أن عمله المتعلق بالهاتف أخره عن تنفيذ مشروع المدرسة حتى أوائل عام 1883. وفي شهر تشرين الأول / أكتوبر من ذلك العام، تم إفتتاح مدرسة السيد بل الإبتدائية في واشنطن، المؤلفة من صف واحد فيه ستة طلاب من الصم. وفي الطابق الأول من نفس البناء كانت توجد روضة للأطفال سجل بل فيها إبنتيه إلسي وديزي، وكان طلاب المدرستين يلعبون معاً في فترات الراحة. كان صف الأطفال الصم مصمماً بحيث يخاطب حاستي البصر واللمس لديهم. وكان كل شيء مدون عليه إسمه باللغتين: لغة الأحرف الأبجدية ولغة الحديث المرئي. وبمراقبة الأستاذ وهو يلفظ الأسماء يبدأ الصغار شيئاً فشيئاً بتعلم قراءة الشفاه. وقد خصص بل غرفة لأهالي أولئك الطلاب بحيث يمكنهم الإطلاع على ما يقوم به معهم ومتابعته في المنزل وذلك باتباع الخطوات نفسها التي أُقيم على أساسها الصف.

لسوء الحظ، لم تستمر تلك المدرسة أكثر من عامين أو مايزيد عنهما بقليل. وعلى الرغم من أن بل أراد الاعتماد على مدرسين يعملون معه لفترة طويلة بحيث يكتسبون الخبرة مع الوقت، إلا أن المدرّسة الأولى التي

عملت معه تركت عملها بعد عام لتتزوج، ثم تركت المدرّسة التي أعقبتها عملها في العام التالي. على العموم، كان السبب الرئيسي لتخليه عن المدرسة هو الهجوم الشديد على شخصه في القضية المعروفة بإسم قضية الحكومة. فقد شعر بل أن عليه التركيز ضد كل مامن شأنه أن يلوث إسمه. وقد أخبر ميبل عندما أغلق المدرسة بشعوره أن حياته كلها أشبه «بحطام السفينة».

ورغم الخيبة التي كان يشعر بها على الصعيد الشخصي، تابع بل مع ذلك عمله من أجل تأسيس مدرسة نهارية للصم. وقد ساهم بل بازدهار الحركة المطالبة بتأسيس مدارس نهارية للصم نتيجة سعيه الحثيث في إقناع الحكومة بدعم هذه المدارس. وعندما افتتحت مدرسة ألكسندر غراهام بل في شيكاغو عام 1918، شعر بل عندها بأن سفينته قد رست أخيراً ولو بشكل متأخر. وقد كان في تلك المدرسة العامة صفوفاً للصم منفصلة عن صفوف الطلاب سليمي السمع، إلا أن جميع الطلاب كانوا يلتقون معاً في أوقات اللعب، تماماً كما كان يحدث في مدرسة بل في واشنطن.

ومع أن بل كانت تنقصه الخبرة الفنية اللازمة لابتكار وسيلة تساعد على السمع وتمكن الصم من التصرف بشكل طبيعي أكثر مع العالم الذي حولهم، إلا أنه استطاع تصميم آلة لقياس حدة السمع ومجاله. وعند صنعه لهذه الآلة وتسمى آلة قياس السمع (أوديوميتر)

اعتمد بل ثانية على مبدأ التحريض الكهرطيسي، الذي كان أساسياً في إختراعه للهاتف. وهنا، كان يعمل على تحريض تيار في سلك ملفوف في دارة في سماعة هاتف. وبتغيير شدة الصوت الذي يتم بثه، يقوم حساس بمقارنة القدرات السمعية لمختلف الأشخاص.

وبفضل آلة قياس السمع التي ابتكرها بل أصبح من الممكن الكشف عن مشاكل السمع الثانوية عند كثير من طلاب المدارس. كما كشفت هذه الآلة أن بعض التلاميذ، الذين كان من المعتقد أنهم صم تماماً، كانت لديهم في الواقع بعض القدرة على السمع.

لقد آمن بل بأهمية تعليم الصم قراءة الشفاه والحديث أو «اللفظ»، لمساعدتهم كي يعيشوا براحة قدر الإمكان بين الذين يسمعون. عندما يأتي الأطفال إلى العالم بسمع سليم فإنهم يتعلمون الكلام بتقليد ما يسمعونه، لهذا السبب لايستطيع الأطفال الصم تعلم الكلام بشكل طبيعي. وقد أصر بل على أن الأطفال والبالغين الصم سواء يستطيعون تعلم الكلام إذا تعلموا كيف يستخدموا أعضاء حاسة النطق التي لاتتأثر بالصمم. وبعد تعرفه إلى ميبل ونجاح تجربته في تدريبها على قراءة الشفاه واللفظ، تعهد بالإلتزام بهذين الموضوعين كلياً.

وضع ذلك الإلتزام المهني الكلي بل في مواجهة قاسية مع قائد آخر لتعليم الصم هو السيد إدوارد غالوديت Edward Gallaudet، الذي كان يكبر بل بعشرة أعوام. لم

إدوارد غالوديت الذي كان غالباً مايتصادم مع بل وعلى العلن حول القضايا المتعلقة بالصم. كان غالوديت من أنصار تعليم الصم لغة الإشارة كوسيلة لإتصالهم بالآخرين كان بل يعارضها بشدة.

يكن غالوديت ضد فكرة تعليم الصم قراءة الشفاه واللفظ، ولكنه كان يعتقد أنه ليس بمقدور جميع الصم إتقان هاتين المهارتين بحيث تكونا وسيلتي الإتصال الرئيسيتين بالنسبة لهم. لهذا السبب تبنى تعليم الصم الإتصال بالآخرين بلغة الإشارة.

عارض بل بقوة لغة الإشارة، لأنه كان من الأسهل بكثير على الأصم أن يتعلمها، الأمر الذي سيضعف من تصميمه على تعلم الكلام. كما أنه أصر على أن لغة الإشارة ستعزل الصم إجتماعياً وفكرياً، لأن معظم الناس الذين يسمعون لن يتعلموا لغة الإشارة وبالتالي لن يستطيع الأصم الذي يعرف لغة الإشارة ولا يعرف قراءة الشفاه الإتصال إلا بأقرانه الصم فقط. ولأن لغة الإشارة ليست دقيقة كاللغة المحكية، شعر بل بأن الأشخاص المدربين على التفكير والحديث بلغة الإشارة فقط لن يكون مجال التفكير والتعبير مفتوحاً أمامهم بشكل واسع مثل أولئك المدربين على لغة الكلام.

وقد تعلم بل لغة الإشارة أثناء عمله كمدرس للصم، وكان إذا شعر بوجود أحد الصم وقد استثني من الحديث

الدائر، كان بل يشركه بالحديث وذلك بترجمة ما كان يقال له بلغة الإشارة. ومع ذلك، كان يشعر أن تدريب طفل أصم على التعود على لغة الإشارة فيه إساءة له، فهو يستطيع أن يتمرس بها لكن الخيارات في نهاية المطاف ستكون محدودة أمامه إذا ما قورنت بما سيتاح أمامه عندما يتعلم قراءة الشفاه والنطق.

وبالرغم من خلافهما الحاد حول هذا الموضوع، كان يجمع بين بل وغالوديت الكثير من الأمور. فوالدتا الإثنين مصابتان بالصمم ووالداهما رجلان مشهوران. وفي الحقيقة فإن والد غالوديت هو مؤسس أول مدرسة دائمة للصم في هارتفورد في ولاية كونكتكت بأمريكا. كما أن الرجلين ترأسا مؤسسات معنية بتدريس الصم. فغالوديت كان رئيس المجلس الأمريكي لمعلمي الصم التي ينتسب إليه بل. وفي عام 1890 أسس بل مجموعة تخصصية أخرى لم يعطها إسماً ملائماً إذ أطلق عليها إسماً طويلاً هو «الجمعية الأمريكية لتشجيع تعلم الصم الكلام» AAPTSD.

وقبل أن يصبح خلافهما المهني حاداً، أظهر كل من هذين العملاقين في تعليم الصم إحترامه للآخر في عدة مجالات. فعندما كان بل مايزال يعلم ويتابع اختراعاته في بوسطن، بحث الإثنان إمكانية إنضمام بل إلى أحد فروع الكلية والتي كان غالوديت يترأسها الخاص بتعليم الطلاب الصم في العاصمة واشنطن (وقد سميت تلك الكلية

لاحقاً على إسم والد غالوديت عام 1894، وكانت حينئذ الوحيدة في العالم التي قدمت التعليم العالي للطلاب الصم). وفي عام 1880 منحت هذه الكلية بل أول مرتبة شرف يحصل عليها.

وفي عام 1891 أخذت العلاقات الودية بين الإثنين تفسد. في ذلك الوقت كان غالوديت يسعى للحصول على دعم مالي من الحكومة من أجل تأسيس معهداً تابعاً لكليته مهمته تدريب أشخاص سليمي السمع على تعليم الصم. شعر بل بالقلق من إحتمال قبول هذا المعهد طلاب صم في النهاية، مع أن غالوديت نفى رغبته في ذلك. وسبب قلق بل كان إدراكه كون المدرس الأصم لديه الكثير مما يقدمه للطالب الأصم إلا أنه في النهاية، برأي بل، لن يكون قادراً على تعليمه مفتاح دخوله إلى مجتمع الذين يسمعون: ألا وهو اللفظ.

ويكشف ما ورد في مفكرة غالوديت في الأشهر الأولى لعام 1891 مدى تنامي إرتياب ونفور غالوديت من بل. فعلى سبيل المثال يقول في مقدمة ما كتبه يوم 21 شباط:

«مع كل يوم تنقص مكانة بل في نظري».

ثم بدأ غالوديت برنامج تدريب المعلمين على الرغم من عدم موافقة بل. وقد وفى غالوديت بوعده لبل، إذ لم يقبل في مدرسته إلا طلاب سليمي السمع ودربهم على تعليم الصم طريقتي قراءة الشفاه واللفظ. إلا أن مخاوف بل تحققت مع الزمن؛ فاليوم يقبل معهد

المؤتمر الأمريكي لمدرسي الصم السنوي في إجتماع عام 1874. وفي تلك المؤتمرات كانت تتكرر مشاهد المناظرات الساخنة حول الطرق الأفضل لتعليم الصم.

غالوديت لإعداد المعلمين تسجيل طلاب صم فيه.

في عام 1895، انتخب غالوديت رئيساً للمؤتمر الأمريكي لمعلمي الصم، وفي جلسة المؤتمر في ذلك الصيف وجه هجوماً شخصياً مباشراً ضد بل. ونظراً لأن بل يعتبر أنه يمارس المهنة التي يحبها ويفضلها والتي جعلت منه «هدفاً يتصيده العالم»، كان هجوم غالوديت ضربة قاسية بالنسبة له. مع ذلك، عندما ألقى بل كلمته أمام المجلس، لم يرد على غالوديت بالدفاع عن نفسه. وقال أن غالوديت ببساطة قد أساء فهمه فيما يتعلق بموضوع تعليم الصم. وقد كتب أحد مؤيدي بل رسالة إلى ميبل في هذا الخصوص يقول فيها:

«كان يتكلم وكأن شيئاً يلهمه ويدفعه للكلام... إلا أنه لم يرد بأية كلمة إنتقام».

عزا غالوديت قصر الكلمة التي رد بها بل إلى ضعف موقفه، وتابع ما بدأه من هجوم على بل بإلغاء عضويته من المؤتمر وبالسخرية من جمعية AAPTSD ومن إسمها المطول، وذلك عندما قام بطريقة تهكمية بكتابة هذا الإسم على سبورة أمام جمهور من الصم متظاهراً بأن الإرهاق قد أصابه من كتابته.

بعد عدة سنوات، مد بل يده إلى غالوديت كي يضعا خلافاتهما معاً خلف ظهريهما؛ فقد طلب من غالوديت دعمه في عمله على وضع الأسئلة الملائمة للإحصاء السكاني لعام 1900 للحصول على المعلومات الضرورية اللازمة عن تعداد الصم في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي اليوم التالي لطلب بل هذا حل غالوديت ضيفاً عليه وعلى عائلته.

بعد ذلك لم يتصادم الرجلان بشكل علني مرة أخرى، إلا أن خلافهما على الصعيد المهني والذي أدى إلى حدوث شرخ في علاقتهما ظل يكبر على مدى الحركة الداعية لتعليم الصم في أمريكا. كان بعض المربين يرتأون مع بل ضرورة تعليم الصم اللفظ وقراءة الشفاه وعدم تعليمهم لغة الإشارة. وكان بعضهم الآخر يعتقدون مثل غالوديت أن إتباع إسلوب يجمع بين المهارات الشفوية ولغة الإشارة في تعليمهم هو الأفضل لعدد كبير

من الصم. واليوم يرى عدد كبير من الناشطين في مجتمع الصم ضرورة تعليم الأطفال الصم لغة الإشارة كلغة أولى واللغة الإنكليزية المكتوبة كلغة ثانية مع التركيز القليل على تعلم اللفظ بالإنكليزية.

كان لبل أسبابه التى جعلته يؤمن بأن الصم يستطيعون التصرف والتأقلم جيداً مع العالم الذي يسمع. فأمه وزوجته اللتان كانتا مصابتين بالصمم تزوجتا من رجلين سليمي السمع وأنجبتا أطفالاً سليمي السمع أيضاً. وقد افترض أنه إذا حصر الصم علاقاتهم بين بعضهم البعض فقط، فهذا معناه أن يتزوج الأصم من صماء مما من شأنه أن يؤدي إلى إنجابهم ذرية مصابة بالصمم على الأغلب.

في عام 1878، وبعد مدة قصيرة من عودته من بريطانيا، طلبت هيئة الصحة في ولاية ماساتشوستس من بل مساعدتها في إجراء إحصاء للمصابين بالعيوب الولادية. لذا قام بدراسة سجلات المواليد. وفي 1883 جمع المعطيات الكافية اللازمة في بحث قدمه إلى الأكاديمية الوطنية للعلوم استخلص فيه أن العدد الأكبر من الأطفال المصابين بالصمم كانوا يولدون لأبوين مصابين بالعاهة نفسها أكثر مما هو الحال عليه مع الآباء السليمين. ودعى إلى المزيد من البحث والعمل في هذه الناحية. ثم أعطى هذه المعلومات إلى باحث آخر أصدر بعد إثني عشر عاماً من العمل تقريراً بنتائج عمله يفيد بأن الزيجات بين الصم تؤدي إلى ولادة أولاد صم أكثر من

زواج الأشخاص السليمين. وإذا كان لأحد الأبوين أقارب مصابين بالصمم، ترتفع نسبة ولادة أطفال صم. كما ترتفع نسبة المخاطرة بإمكانية ولادة أطفال صم عندما تكون هناك صلة قرابة بين الأبوين حتى لو لم يوجد بالعائلة قريب مصاب بالصمم. ومنذ ذلك الوقت اقتنع كثير من العلماء بأن البحث الذي قدمه بل عام 1883 والدراسة التي تمت عام 1895 بناءً على معطياته كانا أهم دراستين في القرن التاسع عشر في أمريكا عن الوراثة عند الجنس البشري.

كان بحث بل موضوع جدل لدى مجتمع الصم في ذلك الوقت، وما تزال الإفتراضات التي تضمنها مثيرة للجدل حتى اليوم. فقد هاجم كثير من الصم حينئذ عنوان بحث عام 1883 الذي كان «تقرير عن إختلاف تكوين الأصم عن باقي أفراد الجنس البشري». إذ تضمن ذلك العنوان بحسب رأيهم الإشارة إلى أن الصم هم زمرة أدنى من الناس وأن العالم سيكون أفضل من دونهم. وفي الواقع، لم يشاطر الكثيرون حينئذ بل رأيه في أن الصمم حالة شاذة وأن الإندماج في عالم الناس السليمين هو الهدف الأنسب للصم.

إن الرفض اليوم لمبدأ بل ذاك ربما هو أكثر إفصاحاً منه في السابق. فكثير من الصم اليوم يفخرون بعالمهم ويشعرون أن العالم مكان فسيح يتسع لوجود الصم فيه. حتى أن بعضهم يرفض ما قدمه لهم التطور التكنولوجي

من وسائل مساعدة لتحسين السمع. وقد أطلقوا صيحة معبرة تقول «دع الأصم يبقى أصماً». وعلى عكس بل، لم يعتبر غالوديت الصمم حالة شاذة مما يفسر تحالف كثير من الصم معه ضد بل.

ومن أجل جمع كافة المعطيات اللازمة لبحثه الخاص بالوراثة، اضطر بل لتعيين مساعد له يعمل في مجال المكتبات. وقد بدأ العمل على هذا المشروع في غرفة بمخبر فولتا سماها بل مكتب فولتا. وسرعان ما لاحظ أن المكتب أصبح مركزاً «لزيادة نشر المعرفة فيما يتعلق بالأصم». وقد رأى والدا بل، نظراً لإيمانهما بأهمية عمله، أن مكتب فولتا يستحق أن يكون له بناءً خاصاً به، فساهما بمبلغ 15000 ألف دولار لهذا الأمر، وفي عام 1893 انتقل مكتب فولتا إلى بنائه الجديد الأنيق. بعد سنوات، أسس هذا المكتب جمعية AAPTSD عام 1903، ثم أطلق عليه لاحقاً عام 1956 اسم «جمعية ألكسندر غراهام بل للصم». وما زالت هذه الجمعية تعمل حتى الآن في العاصمة الأمريكية واشنطن كمركز معلومات عالمي عن الصمم.

لقد قادته الدراسة التي أجراها عن الوراثة عند الصم إلى تحقيقين علميين آخرين، كان أحدهما أكثر غرابة من الآخر. ففي المساحات الفسيحة لمزرعة «بين فرياه» التي امتلكها في كيب بريتون في نوفا سكوتيا، ابتدأ بل تجاربه المتعلقة بتربية الخراف عام 1890 والتي استمرت حوالي

إن الفضول العلمي والفطري عند بل قاده من دراسة الوراثة عند الصم إلى برنامج واسع لإجراء التجارب المتعلقة بتربية الخراف في مزرعته في نوفا سكوتيا.

عشرين عاماً بعد وفاته. وفي «مزرعة الخراف» تلك قام بل بتهجين تلك الخراف على أمل الحصول على مواليد توائم ثنائية أو ثلاثية، لأن مثل هذه الزيادة في توالد الخراف برأيه لن تفيد مزارعي نوفا سكوتيا فقط وإنما ستفيد أيضاً عدداً كبيراً من الناس حول العالم الذين يأكلون لحم الخراف ويعتمدون على صوفها لصنع الملابس والبطانيات.

وفي سنوات حياته الأخيرة، بدأ بل بدراسة موضوع

طول عمر الإنسان أيضاً وبالتحديد إذا ما كان الإنسان يرث عن أهله العمر الطويل. واستخلص في نشرة أصدرها عام 1918 أن الإنسان قد لايرث العمر الطويل ولكنه يرث القدرة على مقاومة الأمراض الأمر الذي من الممكن أن نعزو إليه طول العمر.

إن نظرة بل إلى الصم كزمرة خاصة لم تعن امتناعه عن الإختلاط بهم، بل على العكس جعلته على صلة بعدد لابأس به منهم. فبالإضافة إلى زوجته ميبل، ظلّ على إتصال على مر السنين بالطالب السابق له جورج ساندرز الذي ساهم والده مع والد ميبل في دعم تجارب بل الأولية حول التلغراف والهاتف. وقد شعر بل بخيبة أمل عندما تزوج جورج من إمرأة صماء، إلا أنه تفهم الأمر وساعد جورج في عمله في مجال الطباعة.

ومن أنجح علاقاته مع الصم كانت تلك العلاقة التي بدأت عام 1887. ففي أوائل ذلك العام أحضر الكابتن آرثر هـ. كيلر Arthur H.Keller وهو محرر صحفي من ألاباما وضابط إتحادي سابق، إبنته هيلين البالغة من العمر ست سنوات للقاء بل في واشنطن. كانت هيلين قد أصيبت بمرض خطير عندما كان عمرها عاماً ونصف العام دمر بصرها وسمعها. لم يكن لدى والديها أية فكرة عن طريقة تنشأتها وتعليمها، وقد أصبحت على مر السنين كما وصفت هي نفسها لاحقاً:

«متوحشة وجامحة، أقهقه أو أقوقي كالدجاج للتعبير

عن الفرح، وأرفس وأخربش... وأصدر صيحات مزعجة... للتعبير عن الإنزعاج».

اقترح بل على والدها الإتصال بمدرسة بيركنز للمكفوفين في بوسطن بشأنها. وقد اقترح مدير المدرسة على عائلة كيلر تعيين خريجة جديدة من المدرسة هي آن سوليفان لتعليم هيلين وتأهيلها. وقد نجم عن العلاقة التي نشأت فيما بعد بين المعلمة والتلميذة تحول هيلين من طفلة منطوية ومتوحشة إلى كائنة مفكرة ومسؤولة، فأصبحت تستطيع أن تكتب وتقرأ بطريقة بريل وتتكلم. وبعد تخرجها بدرجة الشرف عام 1904 من كلية رادكليف Radcliffe College وهي واحدة من أفضل المؤسسات التعليمية للإناث في العالم أخذت هيلين تعمل في مساعدة الآخرين من خلال مؤسسات خاصة مثل المؤسسة الأمريكية للمكفوفين.

كتبت كيللر عدة كتب منها «قصة حياتي» الذي تحدثت فيه عن أول لقاء لها ببل، حيث قالت:

«لم أكن أتخيل أن تلك المقابلة ستكون الباب الذي سأعبر من خلاله من الظلمة إلى النور».

وقد عنت تلك العلاقة بين كيلر وبل الكثير لكليهما على مر السنين. في عام 1893 شاركت هيلين وهي في الثانية عشرة من عمرها بحمل رفش وحفر أول حفرة في أساس الأرض المخصصة لإقامة البناء الجديد لمكتب فولتا. وقد قالت في الإجتماع الصيفي لجمعية AAPTSD عام 1896:

بل مع هيلين كيلر ومعلمتها آن سوليفان بدأت علاقة بل بهيلين عام 1887 عندما كان عمرها ست سنوات.

«لا تعلمون مدى السعادة التي أشعر بها لتمكني من التحدث إليكم اليوم. أظن أن لديكم فكرة عن قيمة التحدث مع الصم».

وقد أهدت هيلين كتابها الذي يتحدث عن سيرة حياتها عام 1902:

«إلى ألكسندر غراهام بل، الذي علم الصم أن يتكلموا ومكن أذن الإنسان أن تسمع وهي في جبال

روكي الصوت الصادر من مكان ما على المحيط الأطلسي».

وفي عام 1907 ساعد بل كيلر في أمر مهني. فقد كان مقرراً لها أن تلقي كلمة في إجتماع للمكفوفين في نيويورك. وكانت آن سوليفان في ذلك الوقت مريضة وغير قادرة على إلقاء خطابها المعتاد الذي كانت تضطر لإعادة فقراته مراراً لتتأكد من أن الجميع قد فهمها. فأرسلت كيلر إلى بل تستنجد به لأن:

«المعلمة مريضة وغير قادرة على إلقاء كلمتها، فهل تستطيع الوقوف بجانبي وترديد حديثي كي يسمعه الجميع؟»

ومن أجل الإستجابة لطلبها، ألغى بل خططه الأخرى وتوجه للوقوف بجانبها. وبعد سنوات من وفاة بل، وصفت كيلر ماكان يدفعها لمحبة بل قائلة:

«لقد عرفت بأنه يعتبرني إنسانة قادرة تماماً، ولست مجرد شبح إنسانة جديرة بالشفقة تتلمس طريقها في الحياة».

وقد أسر لها بل في إحدى المناسبات:

«قد يظن المرء أنني لم أفعل شيئاً مهماً في حياتي سوى الهاتف، وهذا لأنه إختراع له مردود مادي، ومن المؤسف أن كثيراً من الناس يجعلون من المال معياراً للنجاح».

وفي عام 1916 وقبل ست سنوات من وفاته أعلن مخترع الهاتف ثانية أنه فخور باختراعه ولكنه يفخر أكثر بمساهماته الأخرى، إذ قال:

«إن شهرتي لما بذلته في مجال تعليم الصم والإهتمام الذي أوليته لهذا الموضوع لطالما كانت تسعدني أكثر من الشهرة التي نلتها على اختراع الهاتف».

إن المساحة الكبيرة والمفتوحة لمزرعته في نوفا سكوتيا هيأت له المكان اللازم لطيران طائراته الورقية الضخمة. كانت تجاربه على الطائرات الورقية الخطوة الأولى في سعيه لتصميم مركبة طائرة.